

من خطب آية الله الراضي

**أعوان الظلمة أشد عذاباً من
الظلمة**

أعوان الظلمة أشد عذاباً من الظلمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

قال تعالى : (فَسْتَنْذِرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)) غافر .

هذه الآيات مع آيات سابقة تتحدث عن مؤمن آل فرعون مع فرعون وآله وأصحابه ومعاونيه فتقول الآية حكاية عن مؤمن آل فرعون : أنكم ستذكرون ما قلته لكم ونصحتكم به وستعرفون أن هذا هو الذي ينفعكم في مصلحتكم . سواء ذكرتم في الدنيا حين يحل عليكم العذاب أو ذكرتم في الآخرة بعد فوات الأوان .

تسليم الأمر لله

إن كثرتم وتهديداتكم لا تخيفني ولا ترهبني لأني سلمت أمري لله وحده ووضعت نفسي بين يدي الله القدرة المطلقة اللامتناهية وهو الذي يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره . والله وحده الذي يعرف حقيقة عباده ومصيرهم وما يصلحهم . وكل عبد إذا اسلم الأمر لله وحده وتوكل عليه في كل صغيرة وكبيرة وانقاد إليه انقياداً كلياً محتماً أن الله لا يخيبه وسوف يختار له ما فيه الخير والصلاح وتقر عينه به بعد ذلك . وتسليم الأمر لله سبحانه من أعلى الدرجات الإيمانية .

تكفل المولى

مؤمن آل فرعون بعد أن سلم أمره لله بصورة مطلقة فإن الله لم يتركه بوحده وإنما تكفل أمره (فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) فوقه مخططات أعدائه التي وضعوها للقضاء عليه (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) وأعداء المؤمنين مهما بلغوا في المكر والخداع والخطط فإنها سوف تفشل وتنكشف بفضل الله عز وجل : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

ضمان المولى

ويعطي المولى سبحانه لعبده ضماناً لنصره وتأييده ونجاته من الأمور الخطيرة في الدنيا والآخرة وفي الأهم وهي الآخرة قال تعالى :

(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) الروم : ٤٧ .

(كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِجُ الْمُؤْمِنِينَ) يونس : ١٠٣ .

أعوان الظلمة

إن الأداة المنفذة للظلم والعدوان والفساد هم أعوان الظلمة وحينئذ يكون جزاؤهم من الله العذاب الأليم الشديد قال تعالى : (وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ) .

وحاق : بمعنى أصاب ونزل . يعني أصابهم ونزل بهم سوء العذاب (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) يوجد فيها احتمالان :

١- أن ذلك في دار الدنيا فإن أعوان الظلمة هم في أشد وسوء العذاب وإن كانوا يبتزون أموال الأمة ويأكلون منها فهم في عذاب دائم وحتى من الناحية المعنوية فهم في جحيم بما يقدمونه من ظلم واضطهاد للشعوب وبعبارة أخرى عندهم من الذنوب والمعاصي ما يؤهلهم لدخول النار فهم يعرضون عليها في الدنيا .

٢- أن هذا العرض يكون في عالم البرزخ وهو ما بين الدنيا والآخرة فإن البرزخ هو الوسط بين الشيتين ولأن البرزخ قريب من الدنيا فحينئذ يكون فيه ليل ونهار وربما قيل أنه حتى في الآخرة يوجد صبح وليل كما في قوله تعالى : (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) مريم : ٦٢ .

أشد العذاب

إن أعوان الظلمة سوف يحصدوا ما زرعوا في دار الدنيا من دماء سفكوها وأعراض هتكوها ، وأموال سلبوها وحقوق اغتصبوها خدمة لأسيادهم الظلمة (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) يذكر بعض المفسرين إذا كان هذا

عذاب آل فرعون وهم أعوانه في أشد العذاب فكيف حينئذ بفرعون الذي هو سيدهم
فيكون عذابه أعظم وأكبر لأنه هو الأمر لهم .

ولكن يمكن أن يلاحظ على هذا :

١- أشد العذاب هو نهاية العذاب في القوة والشدة فيكون أعوان الظلمة في

أشد العذاب ولا يكون أحد أشد منهم في ذلك .

٢- أن أعوان الظلمة هم المباشرون للجرائم من القتل والظلم وقد تقرر في الفقه

الإسلامي أن المباشر للجريمة هو الذي يتحملها أكثر من الأمر وهو الذي يُقتص منه
فيكون عذاب الأعوان أشد من الظلمة أنفسهم .

٣- نعم ممكن أن يكون الظالم أكثر عذاباً من كل فرد فرد ؛ باعتباره عنوان

الظلم والفساد وتعدد أعوانه فهو يشارك كل فرد من أعوانه في الإثم والعدوان فيصبح
مجمع الرذائل والعذاب وإن كل فرد في الجريمة التي يباشرها يكون المباشر أشد عذاباً
منه .

وقد دلت روايات عديدة أن أعوان الظلمة أشد عذاباً من الظلمة ولولا

الأعوان لما تمكن الظالم أن يظلم ، منها ما جاء في رواية عن الإمام الصادق عليه
السلام أنه قال :

(لولا أن بني أمية وجدوا لهم من يكتب ويحبي لهم الفيء ، ويقاتل عنهم

ويشهد جماعتهم ، لما سلبونا حقنا ، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئاً
إلا ما وقع في أيديهم)^١ .

فهذه الرواية واضحة أن الدور الأساسي للظلم والعدوان وان من يسلب

الحقوق هم الأعوان الذين يباشرون الظلم ، ولولاهم لما حصل ذلك فعليهم يكون
القسط الأوفر من العذاب .

^١ وسائل الشيعة ج ١٧ ص ١٩٩ .

أعوان الظلمة

الإسلام قد شدد النكير على أعوان الظلمة وجعلهم هم المسؤولين عن كل جرائم أسيادهم لذلك قد حذر الأمة جمعاً من التعاون مع الظلمة والدخول في ظلمها قال تعالى : **(وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)** هود : ١١٣ .

أي لا تعتمدوا عليهم ولا تستندوا إليهم فيكون سبباً لدخولكم النار .
وجاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام :

(ما أحب أني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء ، وإن لي ما بين لابتيتها ، لا ولا مدة بقلم ، إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد)^١ .

أي ما أحب أن أعقد لهم عقدة حبل ، والوكاء هي القرية أي ولا أحب أن أربط لهم قرية يشرب منها الماء حتى لو أعطيت ما بين لابتيتها أي طرفي المدينة . فالمدينة المنورة يوجد فيها الحرة الشرقية والحرة الغربية يقول لو حتى أعطيت ما بين الحرتين من المدينة فلن أقدم على ربط قرية أو أخط لهم بقلم أو غير ذلك .

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال :

(من مشى إلى ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام)^٢ .

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام :

(من علق سوطاً بين سلطان جائر جعلها الله حية طولها سبعون ألف ذراع

فيسلطها الله عليه في نار جهنم خالداً مخلداً)^٣ .

فالمشي إليهم لإعانتهم وتعليق السياط أو آلة القتل كالسيف والبندقية وغيرها

كل ذلك مشاركة معهم في ظلمهم وعدوانهم فيكون مصيره مصيرهم .

^١ وسائل الشيعة ج١٧ ص ١٧٩ .

^٢ وسائل الشيعة ج١٧ ص ١٨٢ .

^٣ وسائل الشيعة ج١٧ .

وقد شددت بعض الروايات بعدم مشاركتهم حتى في الأمور القليلة كبري القلم
كما عن الإمام الصادق عليه السلام :

(إذا كان يوم القيامة ينادي مناد : أين الظلّمة أين أعوان الظلّمة أين أشباه
الظلّمة حتى من برى لهم قلماً ، أو لاق لهم دواة ، فيجتمعون في تابوت من حديد ثم
يرمي بهم في جهنم)^١ .

فحرمة معاونة الظالمين في ظلّمهم من الأمور المحرّمة التي دل عليها الكتاب
والسنة والإجماع والعقل ، وهي من الكبائر التي توعد المولى سبحانه فاعلها بالنار .

الاهتمام بأمر المسلمين

قد دلت الأحاديث الكثيرة على أن الاهتمام بأمر المسلمين من أعلى
الصفات الإيمانية بل من الأمور الواجبة وقد عقد العلماء في كتبهم الفقهية والحديثية
باباً بعنوان - وجوب الاهتمام بأمر المسلمين - فمن الأحاديث التي أشارت إلى
ذلك ، الحديث المتواتر عن الرسول صلى الله عليه وآله :

(من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم) .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس
بمسلم)^٢ .

الإغاثة

إن الله سبحانه هو غياث المستغيثين ، والمنكوبين وجعل إغاثة المسلمين
بعضهم من البعض الآخر من الأمور اللازمة التي لا يعذر فيها ..

فقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(من أصبح لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن سمع رجلاً ينادي يا

للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)^٣ .

وعلق على ذلك بعض شراح الحديث بقوله :

^١ وسائل الشيعة ج ١٧

^٢ وسائل الشيعة .

^٣ الكافي .

أي لا يعزم على القيام بها ولا يقوم بها مع القدرة (فليس بمسلم) أي ليس بكامل الإسلام ولا يعبأ بإسلامه ، والمراد بأموهم أعم من الأمور الدنيوية والأخرية . فلا عذر للمسلم عندما يسمع أخاه المسلم أو أخته المسلمة ينادون يا للمسلمين ويستصرخونهم فلا يجيبوهم .

قضية فلسطين

في هذه الأيام تمر فلسطين بأعظم نكبة وأبشع مجازر في التاريخ يرتكبها العدو الصهيوني الإسرائيلي والأمريكان بحق الشعب الفلسطيني المظلوم . إن الواقع المأساوي لهؤلاء المظلومين أكبر من الكلمات التي تصورها ، فمهما تكلم الخطيب أو كتب الكاتب وصور المذابح البشعة فإن الصور المشاهدة أعظم وأكثر والتي لم تشاهد أكثر والحالي والواقع أضخم . وما يحز في نفوس المؤمنين ويدمي قلوبهم ويجعل نهارهم ليلاً دامساً هو تخاذل الدول العربية والإسلامية وسكوتها بل وتعاون بعضها مع العدو المجرم طيلة سبعة عقود من الزمن أو أكثر .

التاريخ يعيد نفسه

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يصف الحالة التي مرت على المؤمنين المضطهدين في أطراف العراق عندما غار عليهم سفيان بن عوف الغامدي في (الأنبار) وغيرها ويصف فعلة المجرمين ويتحسر ويتأوه وخطب خطبة طويلة جاء فيها: (كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيهتكون سترها ، يأخذون القناع من رأسها والخرص^١ من أذنها ، والأوضاع^٢ من يديها ورجليها وعضديها والخلال والمأزر من سوقها فما تمتنع إلا بالاسترجاع والنداء : يا للمسلمين فلا يُغيثها مغيث ولا ينصرها ناصر . فلو أن مؤمناً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي ملوماً بل كان عندي باراً محسناً.

^١ الخرص : الحلقة من الذهب والفضة (الصحاح) .

^٢ الأوضاع : حلي من الفضة (الصحاح) .

واعجبا كل العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حقكم قد صرتم غرضاً يرمى ولا ترمون وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون تربت أيديكم يا أشباه الأبل غاب عنها رُعاتها كلما اجتمعت من جانب تفرقت من جانب)١

نعم نفس المأساة التي يصفها علي بن أبي طالب عليه السلام هي الآن في فلسطين وأكثر فإن الأمريكي واليهودي يدخل في بيوت الفلسطينيين ولا يسلب بل يقتل الرجال والناس والأطفال ويمثل بهم ، ويمنعوهم من كل شيء حتى الماء والاكل ، ويهدمون عليهم دورهم . ويدوسوهم بدباباتهم ومجنزراتهم وأمام عدسات آلة التصوير، ومليار وأربعمائة مليون مسلم في العالم يشاهدون ذلك وأمام أعين ثلاثمائة مليون عربي والفلسطينيون ينادون ليلى نهار وعشياً وأبكاراً من على شاشات التلفزة ، يسمعون كل العالم **يا للمسلمين يا للعرب** يا أحرار العالم حتى بحت أصواتهم ولا من مجيب يجيبهم ولا من مغيث يغيثهم ولا من ناصر ينصرهم ، فلا الواجب الإسلامي حرك المسلمين لنجدتهم ولا الشيمة العربية حركت العرب في انقاذهم ولا الضمير الإنساني حرك العالم في نجدتهم .

الضمير الحي

نعم أن ضمير علي بن أبي طالب عليه السلام العطوف الرحيم صاحب الغيرة والشيمة يقول (إذا أحد من المؤمنين شاهد عدوه أعتدى على امرأة وسلبها حليها ولم ينجدها مسلم عندما تستغيث فإن هذا المشهد يستحق أن يموت المؤمن دونه أسفاً ، وإذا مات بسبب ما شاهده لا يكون ملوماً في قاموس علي بن أبي طالب عليه السلام بل يكون باراً محسناً .

يا علي بن أبي طالب يا أبا الحسن يا من حملت روحك على يديك جهاداً في سبيل الله كيف بك لو شاهدت المآسي والمجازر في فلسطين بأمر عينيك ، وسمعت صراخ النساء وعويل الأطفال على شاشة التلفزة وهم ينادون **يا للمسلمين** ..

وشاهدت نساء فلسطين وهن يسقطن برصاص الصهاينة وطائرات الأمريكان
- الأباتشي - تصب أطنان القذائف المدمرة في كل يوم على رؤوس الرجال والنساء
والأطفال والحيوانات والنبات وكل شيء حتى الجماد .
والعالم كله ينظر إلى ذلك بعين الرضا بل والتآمر على الإسلام و المسلمين
والفلسطينيين والدول العربية تقف موقف اللامبالاة . وكل ما في الأمر يمدون أيديهم
إلى أمريكا ورئاستها لإنقاذها .
نعم يوجد ثلة قليلة من المؤمنين والمسلمين يقفون إلى جانب الفلسطينيين
وتأييدهم في جهادهم ضد أمريكا وإسرائيل .

اعرف عدوك

كل فرد أو شعب أو أمة لا يمكن أن تكون له العزة والكرامة والعيش بحرية
والانتصار في مقابل الظلم والعدوان لا يمكن أن يحقق له هذه الأمور إذا لم يعرف
عدوه الحقيقي ..
إن القضية الفلسطينية ولعشرات السنين .. فلسطين ترزح تحت نير الاحتلال
الأمريكي الإسرائيلي الصهيوني . ولكن يا ترى من هو العدو الأساسي الأول ؟ هل
هو إسرائيل المغتصبة ؟ أو أمريكا المتفرعنة ؟ ربما يقال كما هو الشائع على ألسن
الحكام للدول العربية وكثير من الناس أن إسرائيل هي عدونا الأول .
ولكن الواقع يخالف ذلك تماماً فإن إسرائيل لا يمكن لها الوجود لولا أمريكا .
من الذي يحمي عن إسرائيل ! من الذي يدعم إسرائيل عسكرياً أو اقتصادياً !
ومن الذي أعطى إسرائيل الأسلحة النووية ! من الذي يشرف مباشرة الآن على
المجازر في فلسطين ! أليست هي أمريكا ؟
العدو الأساسي للإسلام والمسلمين والشعوب الإسلامية بل والشعوب الحرة في
العالم إنما هي أمريكا ..
إن إسرائيل المجرمة المغتصبة هي سيئة واحدة من سيئات أمريكا .

أمريكا عدوة الشعوب

أمريكا تعتبر نفسها هي البلدة التي يحقق لها أن تهيمن على كل البلدان والشعوب وفي نظرها يجب على كل العالم أن يخضع لها وتحت إرادتها (ومن لم يكن معنا فهو ضدنا) هذا ما صرح به رئيسها جورج بوش الابن .

فكل دولة في العالم .. وكل شعب أو فرد من الأفراد إذا لم يخضع لها وتحت سيطرتها وإرادتها فهو إرهابي يجب أن يحكم عليه بالإعدام في أقرب فرصة .

فالجمهورية الإسلامية الإيرانية وسوريا ولبنان والعراق وكوبا .. إرهابيون لأنهم فقط فقط لا يخضعون للإرادة الأمريكية ..

ومعنى ذلك كله أن أمريكا تعتبر نفسها رباً وإلهاً يجب أن تعبد من دون الله هي وإن لم تصرح بذلك لكنها بفرعنتها وشيطنتها وظلمها للعالم تثبت ذلك بدون أدنى شبهة أو تردد .

فتصبح أمريكا بهذه الإرادة والهيمنة على الشعوب العدو للددود لهم فهي لا تعي لمصلحتهم مهما كانت الظروف فليس عندها أدنى شرف ولا ذرة رحمة أو عطف وإنما تسعى لمصالحها الشخصية حتى ولو أدى إلى إبادة شعوب العالم .

اللعب على الشعوب

إن أكثر حكام العرب والمسلمين يخدعون شعوبهم عندما يصورون لهم أنه لا حياة ولا سعادة ولا رفاهية بدون أمريكا وأخشى أن يقال أنها علة لوجود العالم ...

وماذا يحدث لو أن الله سبحانه أزال أمريكا من الوجود فهل بقية العالم سوف يموت ويزول بزوالها .

والكثير من حكام الدول يخافون ويخوفون شعوبهم منها ولم يلتفتوا إلى الله عز وجل حيث يقول : (أليس الله بكاف عبده ويخوفونك باللذين من دونه) .

الحل

وفي الختام لابد أن تتحمل الشعوب مسؤوليتها لتحل القضية الفلسطينية :

١- الرجوع إلى الله وتغيير المحتوى الداخلي لها : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى

يغيروا ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) .

٣- معرفة أمريكا على حقيقتها .

٤- مقاطعة أمريكا مقاطعة شاملة وفي كل المجالات .

٥- القيام بمساندة الفلسطينيين مادياً ومعنوياً .

٦- تحقيق مفهوم العزة والكرامة للأمة : **هيهات منا الذلة** .

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين